(الدرر المكنون من كتاب الحجة المصون)

The Hidden Pearls from the Safeguarded Argument Book

(Al-Durar al-Maknun min Kitab al-Hujjah al-Masun)

أ. حسين سالم أبو القاسم الشويشين

محاضر مساعد - المعهد العالي للعلوم التقنية/ الشقيقة،

Mr. Hussein Salem Abualqasim Al-Shwaishin

Assistant Lecturer - Faculty Member at the Higher Institute of Technical Sciences, Ash-Shaqiqah

alshwshynhsynsalm@gmail.com

ملخص:

يدرس هذا البحث الموسوم بـ "الدرر المكنون من كتاب الحجة المصون "أحد أهم المراجع اللغوية والتفسيرية في التراث العربي، وهو كتاب "الحجة في علل القراءات" لأبي علي الفارسي. تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على السيرة العلمية للفارسي، واستعراض مكانة كتابه المذكور ومنهجه في توجيه القراءات.

ينقسم البحث إلى فصلين؛ يتناول الفصل الأول دراسة وصفية وتاريخية للمؤلف (اسمه، شيوخه، وتلاميذه، ومكانته العلمية)، وتعريفاً شاملاً بالكتاب من حيث التسمية والمحتوى والأهمية العلمية. أما الفصل الثاني، فينتقل إلى الجانب التطبيقي عبر تحليل نماذج مختارة من الكتاب، مثل تخريج وتوجيه لفظي (ملك) و(الصراط)، لاستجلاء منهج الفارسي في الجمع بين الرواية والدراية، ومقدرته الفائقة في الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية. وتختتم الدراسة بأهم النتائج المستخلصة وقائمة بالمصادر والمراجع.

Abstract:

This research, titled "The Hidden Pearls from the Safeguarded Argument Book," examines one of the most significant linguistic and exegetical references in Arabic heritage: Al-Hujjah fi ‘Ilal al-Qira’at (The Argument for the Reasonings of Recitations) by Abu Ali al-Farisi. The study aims to highlight al-Farisi’s scholarly biography and explore the significance of his book and his methodology in justifying Quranic recitations.

The research is organized into two chapters. Chapter One provides a descriptive and historical study of the author (his lineage, mentors, students, and scholarly standing), alongside a comprehensive introduction to the book regarding its title, content, and academic importance. Chapter Two shifts to an applied approach by

analyzing selected models from the book, such as the linguistic derivation and justification (Takhrij and Tawjih) of the terms "Malik" (King/Owner) and "Al-Sirat" (The Path). This is done to illustrate al-Farisi's methodology in integrating narration with linguistic reasoning and his exceptional ability in provide linguistic evidence for Quranic readings. The study concludes with key findings and a bibliography of sources.

المقدمــة:

الحمد لله ذي المن والإحسان، والقدرة والسلطان، الذي أنشأ الخلق بربوبيته، وجنسهم بمشيئته، واصطفى منهم طائفة أصفياءً، وجعلهم بررةً أتقياءً، فهم خواص عباده، وأوتاد بلاده، يصرف عنهم البلايا، يخصهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه، والمتمسكون بسنن نبيه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، زجر عن اتخاذ الأولياء دون كتابه، واتباع الخلق دون نبيه، وأن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تلا.

وبعد:

فإن أفضل ما صرفت فيه الأوقات، وقضيت فيه الأعمار، كلام الله العزيز الجبار، تلاوة وتعلّماً وتعليماً، ودراسة كل ما يعين على فهمه وتدبره، فحري أن تنفق فيه الأوقات، وتصرف فيه الجهود والطاقات، فإن القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه، من عمل بما فيه، ألبسه الله الحلة وأسكنه الظلة، وجعله من أوليائه المتقين، وحشره في زمرة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو من أجل الطاعات وأفضل القربات إلى رب الأرض والسماوات، فكلما ازداد المرء فيه تلاوة ازداد طهارة، وكلما ازداد فيه تعمقاً ازداد تعلقا ومعرفة، إنه الواحة الخضراء التي لا يغيض ماؤها ولا يجف حرثها، بل تزداد نضارة وبهاء كلما ازداد روادها.

ولما كانت العلوم تشرف بموضوعاتها، فإن الدراسات القرآنية عامة، وعلم القراءات خاصة أجل هذه العلوم وأشرفها؛ لتعلقها المباشر بكتاب الله عز وجل

ولقد أضحت القراءات القرآنية محل عناية بالغة من لدن زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم الناس هذا، إذ لم يخل عصر من الأعصار إلا وقيض الله لحفظ كتابه من الناس قائمين يقرئون القرآن ويحفظونه ويتقنون حروفه ورواياته ووجوهه، يتعهدونه ويقرئونه لمن بعدهم، تحقيقاً لموعوده عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، سورة الحجر، الآية 9.

ولم تتوقف العناية بكتاب الله عز وجل إلى هذا الحد، بل تعدت إلى التصنيف في شتى مجالاته وعلومه المتعلقة به، فكان التصنيف في علوم القرآن عموماً، وفي علم القراءات خصوصا بارزا بشكل ملفت للانتباه ؛ الأمر الذي يدعوا إلى الدراسة المتأنية والتأمل المستوعب لهذا الرخم العلمي الهائل الذي خلفه رجالات هذا العلم ومفاخره.

ولقد كان كتاب " الحجة للقراء السبعة " لأبي علي الفارسي ، من بين الكتب المهمة التي أخذت مكانها من بين تلك المصنفات، ومن بين تلك المصنفات قصب السبق والريادة في هذا العلم؛ ذلك أن المصنف عاش في القرن الرابع الهجري، عصري الترفي العلمي والفكري، الأمر الذي يدعو إلى الاهتمام بهذه الشخصية المهمة ودراستها وتتبع منهجه في كتابه ومسلكه في عرض مسائل القراءات وبسطها وتوجيهها واختيارها.

ولما كانت هذه الورقة البحثية متعلقة بهذا الكتاب المبارك وبمؤلفه - رحمه الله - ، عمدت إلى الاطلاع على الكتاب ومؤلفه بشكل أوسع من ذي قبل؛ لتقوية المعلومة، وزيادة الفائدة، وجعلتها موسومة بـ**(الدرر المكنون من كتاب الحجة المصون)**، وقد تضمنت هذه الورقة مبحثين، تضمن كل مبحث مطلبان، بكل مطلب عدة نقاط، وهي على النحو التالي:

- المبحث الأول: أبو علي الفارسي وكتابه الحجة.

هذا والله تعالى أسأل، وإليه تقدست أسماؤه أتوسل، أن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً متقبلاً، كما أسأله سبحانه أن يعيذنا من علم عاد كلاّ، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

المطلب الأول: التعريف بأبي علي الفارسي.

أولاً: اسمه ونسبه.

فهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي (ياقوت الحموي، معجم الأدباء/ ج80/2)، أبوه فارسي، وأمه عربية من سدوس شيبان . (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد/ ج84/13)

وأما عن اسم أبيه وجده، فلقد اختلف المترجمون في نسب أبي علي الفارسي زيادة ونقصاناً، فذكر جميع من ترجم له إلا من شذُ أن اسم أبيه أحمد، واسم جده عبد الغفار. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد/ ج87/13)

وعلى الرغم من أن جده البعيد " أبان " عربي منصرف (ابن منظور، لسان العرب/ ج134/16)، فقد ذهب أكثر من ترجم له أن أباه فارسي الأصل، وقد يكون الأمر أن جده هذا عربي الأصل استوطن بلاد فارس أثناء الفتوحات الإسلامية، أو لعله أسلم أبواه فسموه باسم عربي، ولقب الفارسي لا ينهض دليلا على فارسيته؛ إذ كثيراً ما يلقب بعض المشهورين من العرب بألقاب فارسية (شلبي، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية/ 46).

وقال في الكامل: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ابن الأثير، الكامل في التاريخ تاريخ بغداد/ ج429/7)، وفي تاريخ بغداد: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد/ ج275/7)، وفي مرآة الجنان: الحسن بن أحمد الفارسي. (اليافعي، مرآة الجنان/ ج305/2)، وفي اليتيمة في ترجمة ابن أخته أبو الحسن بن محمد بن الحسن الفارسي، قال: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي. (النيسابوري، يتيمة الدهر/ ج109/2)، وفي ميزان الاعتدال: الحسن بن أحمد. (الذهبي، ميزان الاعتدال/ ج480/1)، وفي لسان الميزان: اسم جده عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان. (العسقلاني، لسان الميزان/ ج26/3)، وفي بغية الوعاة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان . (السيوطي، بغية الوعاة/ ج496/1)،

وفي روضات الجنات: الحسن أحمد بن عبد الغفار. (الأصفهاني، روضات الجنات/ ج73/3)، وفي فهرست ابن النديم: الفارسي أبو علي بن أجمد بن عبد الغفار. (ابن النديم، الفهرست / ج95/1)، وشذ صحاب شذرات الذهب فقال: الحسن بن محمد بن عبد الغفار ويمكن أن يكون من سهو النساخ (الدمشقي، شذرات الذهب/ ج88/2).

وأما عن **كنيته**: فأبو علي عند الجميع من غير خلاف وقد اشتهر بكنيته، **وأمه** سدوسية من سدوس شيبان من ربيعه الفرس. (الحموي، معجم الأدباء/ ج811/2)

وصفه المؤرخون بأنه كان قوي البنية، نظيفا في مظهره؛ لدى أزرى على المتنبي (ت: 354هـ) قبح زيه، وما أخذ به نفسه من الكبر. (البديعي، / الصبح المنبي ،92).

كـــــما وُصف بأنـــــه كان صادقا في نفسه، مترفعا عن الكــذب، رفيقا بذوي القربى (الحموي، معجم الأدباء/ ج811/2)

ـ ثانياً: مولده ورحلاته.

أما **مولده** فقد ولد سنة 288هـ بمدينة فسا من أرض فارس، وهي المدينة واسعة الأبنية، فسيحة الشوراع، ذات حصن وخندق وريض. (الحموي، معجم الأدباء/ ج811/2)

وأما **رحلاته**؛ فقد رحل إلى بغداد سنة:(307هـ) لطلب العلم فيها، كما رحل إلى غيرها من مدن العراق، وفيها ذاعت شهرته، وتنقل في شعابه، يحاضر ويؤلف ويسأل، فكانت له مؤلفات سميت بأسماء المدن العراقية : كالبصريات والبغداديات وغيرها. (الزبيدي، طبقات النحويين131) .

وانتقل الإمام إلى الموصل، وفيها التقى بتلميذه ابن جني (ت: 392هـ) (العمري، سير أعلام النبلاء/ ج18/2) ،حيث بقي بها زمناً ثم ذهب إلى الشام، فزار حلب والتحق ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني (ت: 356هـ) فأكرمه، وتنقل في بلاد الشام، فمضى إلى طرابلس ومعرة النعمان، واتصل برجالها وأهل العلم فيها، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية، وقد امتحن فيها بخصومة ابن خالويه (ت:370هـ)، وكان من خلصاء سيف الدولة. (ابن حبان، الامتاع والمؤانسة / ج15/4)

واستقر أبو علي بفداء بغداد إلى أن أدركته المنية في ربيع الآخر، وقيل ربيع الأول سنة: 377هـ، فدفن هناك بالجانب الغربي منها. (القفطي، إنباء الرواة/ ج80/2).

ـ ثالثاً : شيوخه وتلاميذه.

أولاً: شيوخه.

لا يعلم شيء عن دراسة أبي علي الأولى، والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، إلا أن تردده على حلقات الشيوخ المشهورين في بغداد بعد دخوله إياها واستقراره فيها، يوحي بأنه قد تردد على شيوخ بلاده قبل مجيئه إلى بغداد، وأخذ عنهم شتى علوم المعرفة، وخاصة علوم العربية، وقد كان لأبي علي الفارسي احتكاك كثير مع شيوخ في العراق، فأخذ عن جملة من الشيوخ والأئمة منهم:

1- روى عن أبي بكر محمد بن السري بن سهل، النحــوي المعروف بابن السراج (ت:316هـ). (الفارسي، مقدمة الحجة للقراء السبعة/ج117/4).

2- روى عن أبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي (ت: 311هـ). (الفيروز أبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة/ ج186/1).

3- وروى عن أبي بكر بن دريد، محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي البصري (ت:321هـ). (الفارسي، البصريات/ ج51/1)

4- وعن أبي الحسن - وقيل: أبي المحاسن - أبو الحسن علي سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش الصغير النحوي (ت: 315هـ). (الأتابكي، النجوم الزاهرة/ ج15/4).

5- وعن ابن معدان، أبي الحسن علي بن الحسين بن معدان الفارسي الفسوي (ت:319هـ). (البغدادي، تاريخ بغداد/ ج257/7).

6- وروى عن أبي بكر بن مجاهد،وهو أبو بكر بن أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ (ت: 324هـ). (الأتابكي، بغية الطالب في تاريخ حلب/ ج2256/5)، (السبكي، طبقات الشافعية/ ج75/3).

وغير هؤلاء كثير؛ الأمر الذي بَوَّأَ أبا علي أن يكون أحد أئمة العربية وأغزرهم علماَ، وأوسعهم اطلاعاَ، وأن تكون كتبه أجل الكتب وأجدرها قراءة وتدريساَ. (الذهبي، معرفة القراء الكبار/ ج47/1).

- ثانياً: تلاميذه.

لقد التف حول أبي علي الفارسي عدد غير قليل من التلاميذ الذين أصبحوا أئمة في العربية والشعر، أذكر أشهرهم:

1- أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة: 392هـ. (الحموي، معجم الأدباء/ ج235/7).

2- أبو طالب أحمد بن بكر العبدي المتوفى سنة: 406هـ. (القفطي، إنباه الرواة/ ج287/2)

3- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة: 398هـ. (الحموي، معجم الأدباء/ ج235/7)

4- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة: 420هـ. (الحموي، معجم الأدباء/ ج235/7)

- رابعاً : ثناء العلماء عليه.

لقد تبوأ أبو علي الفارسي مكانة سامية في مختلف العلوم العربية، فقد كان موسوعة علمية في عصره، واشتهر ذكره في الآفاق، ومما زاده شهرة وعلو شأن تزكية العلماء له وثناؤهم عليه، ومن ذلك:

ما ذكره أبو القاسم التنوخي (ت: 342هـ)، في (نشوار المحاضرة) حيث قال: سمعت أبي يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو. (التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة الأدباء/ ج43/4)

ووصف الخطيب البغدادي (ت: 463هـ) كتبه بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها،وتكلم كثيراَ عن فضله وشهرته في الآفاق. (البغدادي، تاريخ بغداد/ ج275/7)

وقال عنه السيوطي (ت: 911هـ): " النحو ما يقوله الفارسي (القنويجي، أبجد العلوم ا/ ج47/3) .

وقال عنه أبو البركات الأنباري (ت: 577هـ) في نزهة الألباء: فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد (ت: 286هـ). (الأنباري، نزهة الأولياء/ ج274/1)

وقال أبو طالب العبدي (ت: 406هـ): لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه (ت: 180هـ) ، أحد أبصر بالنحو من أبي علي. (الحموي، معجم الأدباء/ ج812/2)

وامتدحه أبو العلاء المعري (ت: 449هـ) بقوله: " إنه رجل يمت بكتابه في (القرآن) المعروف بكتاب الحجة. (المعري، رسالة الغفران/ 295)

كما قدره العلماء حق قدره؛ فأثنوا عليه وشغلوا به يتدارسونه ويختصونه، ولاسيما أهل الأندلس، ومن أقوالهم:

- ما جاء في طبقات النحاة اللغويين: " كتاب الحجة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها". (ابن القاضي، طبقات النحاة/ 295)

- وجاء في طبقات القراء: " وألف كتاب التذكرة وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد، والإيضاح والتكملة وغير ذلك". (ابن الجزري، غاية التهاية/ ج189/1)

- وفي وفيات الأعيان قوله: " وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ... والفارسي لا حاجة لضبطه لشهرته". (ابن خلكان، وفيات الأعيان/ ج82/1)

- المطلب الخامس: مؤلفاته.

لقد ترك أبو علي جملة من الكتب نالت إعجاب واستحسان الكثير من العلماء، تعد من نفائس التراث، ولكن يد الدهر قد عبثت ببعضها، فلا نجد لها أثراً في خزائن الكتب، فعدت من الكتب المفقودة.

وبقيت بعض كتبه متناثرة في مكتبات العالم، وقد انبرى لتحقيق بعضها جماعة من الأساتذة.

ويمكن أن نصف هذه المؤلفات إلى صنفين:

- أولاَ:المصنفات التي وصلت إلينا.

1- الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني في تفسير القرآن الكريم، حققه محمد حسن محمد إسماعيل، رسالة ماجستير في كلية الآداب عين شمس. (الحموي، معجم الأدباء/ ج814/2)

2- الإيضاح النحوي (العضدي)، ألفه لعضد الدولة البويهي، حققه الدكتور: حسن شاذلي فرهود، وطبع سنة 1969/ القاهرة.

3- التعليقات على كتاب سيبويه، حققه الدكتور عوض بن حمد القوري، وطبع بمطبعة الأمانة - القاهرة / 1410هـ - 1990م.

4- التكملة، حققه الدكتور: كاظم بحر مرجان (رسالة ماجستير)، طبع بدار عالم الكتب - بيروت، سنة الطبع :1999م.

5- الحجة في علل القراءات السبع، حققه كامل مصطفى الهنداوي، سنة:2001م، دار الكتب العلمية، بيروت /لبنان.

6- المسائل البغداديات: وهو كتاب المسائل المشكله، حققه الأستاذ صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني- بغداد.

7- المسائل الحلبيات في اللغة والنحو.

8- المسائل الشيرازيات في اللغة والنحو، حققه الدكتور: علي جابر المنصوري، سنة: 1976.

9- المسائل المنثورة، حققه: مصطفى الحديري، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، سنة: 1986.

10- المسائل العسكريات في النحو العربي، درسه وحققه الدكتور:علي جابر المنصور، سنة:2002.

11- شرح أبيات الإيضاح. (ابن النديم، الفهرست/ ج95/1) و (الحموي، معجم الأدباء/ ج814/2)

- ثانياً:المصنفات التي لم تصل إلينا.

1- أبيات الإعراب. (ابن النديم، الفهرست/ ج95/1)

2- أبيات المعاني. (الحموي، معجم الأدباء/ ج814/2)

3- الإيضاح الشعري.

4- كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي (ت: 303هـ). (السيوطي، طبقات المفسرين/ ج102/1) في التفسير. (الحموي، معجم الأدباء/ ج814/2)

5- التذكرة. (ابن النديم، الفهرست/ ج95/1)

6- الترجمة.

7- شرح أبيات الإعراب.

8- مختصر عوالم الإعراب.

9- المسائل الدمشقية، ولم يعرف عنها شيء. (الحموي، معجم الأدباء/ ج814/2)

10- المسائل الكرمانية. (القفطي، إنباه الرواه/ ج309/1)

11- المسائل المجلسيات. (ابن خلكان، وفيات الأعيان/ ج81/2)

12- المسائل القصريات أو القصرية. (حاجي خليفة، كشف الظنون/ ج1670/2)

13- المقصور والممدود.

14- العوامل المائة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان/ ج81/2)

- سادساً : وفاته.

لم يتفق المؤرخون في تحديد سنة وفاة أبي علي الفارسي، فذكر ابن النديم أنه توفي قبل سنة: 370هـ، وابن الأثير وأبو الفداء يذهبان إلى أنه توفي سنة:376هـ، يذكر آخرون على أنه توفي سنة: 377هـ ، والأرجح أنه سنة:376هـ, ولا خلاف على أن الوفاة كانت يوم الأحد لسبع عشرة خلت من ربيع الأول. (ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية/ ج306/11)

- المطلب الثاني: التعريف بكتاب الحجة.

- أولاً: تسمية الكتاب.

ذكر المؤرخون لأبي علي الفارسي كتاب الحجة بعبارات مختلفة، وإن كانت مشتركة في كلمة (الحجة) محور التسمية، كل ذلك بداعي الاختصار والاجتراء بالبعض المفهم عن الكل.

- فاكتفى كل من ابن النديم في الفهرست، وياقوت في معجم الأدباء، وابن الجزري فـــي الطبقات، والذهبي في معرفة القــراء الكبـــار ، بتسميتـــه: (**الحجة**). (الذهبي، معرفة القراء الكبار/ ج214/1)

- وسماه الخطيب البغدادي : (**الحجة في علل القراءات**).

- أما ابن خلكان في الوفيات، وصاحب الشذرات، وابن تغزي بردي في النجوم الزاهرة، أطلقوا عليه: (**الحجة في القراءات**).

وأرجح هذه التسميات هي: (**الحجة في علل القراءات السبع**)، وذلك لما ثبت أنه مكتوب في كتاب الحجة. (الفارسي، الحجة/ 21)

- ثانياً: أهمية الكتاب ومنزلته.

لا تخفى قيمة كتاب "الحجة" بين المصنفات العظيمة في علم القراءات عموماً، وفي فن توجيه القراءات وعللها خصوصاً؛ ذلك أن ظهور هذا الكتاب يعد فتحاً كبيراً في مجال القراءات وفن الاحتجاج بها، فمؤلفه شخصية من أبرز الشخصيات في علم القراءات (أداءً، وتدريساً، وأستاذيةً، وتأليفاً)، ومؤلفه (الحجة) طبقت شهرته الآفاق، وانتفع به القراء والنحويون والمؤلفون؛ لما يتميز به من سلامة في المنهج، واستيعاب في الأحكام.

وتتجلى مظاهره في:

1- كونه من أوائل المصنفات التي شرحت كتاب " السبعة " لابن مجاهد.

2- إن الثروة العلمية الزاخرة بألوان المعارف المختلفة، من علوم العربية وعلوم القرآن والقراءات وغيرها في هذا الكتاب ؛ لتدل على قمُة النضج العلمي لمؤلفه وعصره، كما تدل على الشخصية العلمية الموسوعية الفذّة التي اتسم بها.

3- إن أبرز ما يتصف به كتاب (**الحجة**)؛ أنه عرض لتوجيه القراءات السبع بالتفصيل، فهو يغوص في الإعراب والتعليل وتوضيح المعنى المترتب على القراءة، ولا يدع حرف الخلاف إلا بعد أن يسوق له من الشواهد والأدلة الكثيرة ما يجليه ويرفع اللبس عنه.

4- كما يتميز الكتاب باستخدام القياس، فهو يعج بالكثير من التعليلات والقياسات المنطقية.

5- إضافة إلى ذلك، ما حظي به كتاب (**الحجة**) من إجازة العلماء له؛ فقدروه حق قدره، وأثنوا عليه، وشغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس. (معاشي، منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية/ 64)

- ثالثاً: موضوع الكتاب مضامينه.

أولاً: موضوع الكتاب.

يعتبر كتاب (**الحجة للقراء السبعة**)أجل آثار الإمام أبي علي الفارسي، بل هو من أجل الكتب المؤلفة في باب الاحتجاج للقراءات، وهي في بابها ككتاب سيبويه (ت:180هـ) في بابه، من حيث اشتمالهما على أصول علمهما وجل مادتهما، وغزارة النقل عنهما في كتب من بعدهما، واعتداد الناس بمذاهب صاحبيهما، حتى قيل:" الحجة كتاب ليس له نظير في جلال قدرٍ، واشتهار ذكرٍ. (أبي شجاع، ذيل تجارب الأمم/ 183)

وكتاب الحجة للفارسي - كما هو واضح من عنوانه - يذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قــراءاتهم في كتــاب ابن مجــاهد (ت: 324هـ)- رحمه الله - (السبعة في القراءات)، فموضوعه إذن تعليل قراءات الفراء السبعة وتوجيهها، فقد عمد رحمه الله إلى حشد قراءات السبعة الذين اجتباهم ابن مجاهد، واحتج لها، ووثقها، واستشهد لحروفها، وأثبت وجاهتها وصحتها، ووجهها وفق عيار العربية، سواء على المستوى اللغوي المعجمي، أو الصرفي، أو الصوتي، أو الدلالي البلاغي، والتمس لها الأدلة، وعللها عللاً خفية بعيدة الغور، واجتلب لها النظائر،حتى صار بحراً تزّاحم فيه العلوم: القراءات، والاحتجاج لها، واللغة، والتفسير، وإعراب القرآن،والنحو، والعروض، والبلاغة، والأصوات، وفقه اللغة، ومعاني الشعر، والفقه. (معاشي، منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية/ 125)

- ثانياً: مضامينه.

يمكن القول أن كتاب " الحجة" للإمام أبي علي - رحمه الله - قد اشتمل على مقدمة، عقبتها الدراسة، ثم الخاتمة.

أما المقدمة فقد تضمنت - بعد الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أفكار:

- **الأولى:** صدّر فيها كلمة المدح والدعاء للسلطان عضد الدولة، لأن هذا المصنَّف واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له. (ابن خلكان، وفيات الأعيان/ ج64/4)

- **الثانية:** فقد أوضح فيها المصنف موضوع كتابه، والمتمثل في ذكر أوجه الاحتجاج وتعليل القراءات المختلفة للقراء السبعة، الذين سبعهم ابن مجاهد - رحمه الله -.

- **الثالثة:** أشار إلى عمل أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت:316هـ)، وأنه استند عليه.

وبعد تلك المقدمة الموجزة شرع المصنف - رحمه الله - مباشرة في موضوع الدراسة، والمتمثل في عرض الحروف، وذلك في أربعة أجزاء، بدأ فيها بسورة الفاتحة، وانتهى إلى سورة الناس.

- ففي الجزء الأول بدأ بـــ(**سورة الفاتحة**) إلى نهاية (**سورة البقرة**).

- وفي الجزء الثاني من أول (**سورة آل عمران**) إلى آخر (**سورة يوسف**).

- وفي الجزء الثالث من أول (**سورة الرعد**) إلى آخر (**سورة الطور**).

- وختم كتابه في الجزء الرابع من (**سورة النجم**) إلى آخر (**سورة الناس**). (الفارسي، الحجة / ج164/1)

وبعد الرحلة الطويلة والدراسة العميقة التي خاضها أبو علي في " الحجة "، اكتفى - رحمه الله - بقوله:" والحمد لله رب العلمين، وصلواته على نبيه محمد وعلى أهله وسلم.

المبحث الثاني: نماذج من كتاب الحجة.

- المطلب الأول: تخريج وتوجيه لفظ " ملك ".

- أولاً: التخريج.

اختلفوا في إثبات الألف، وإسقاطها من قوله: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ (سورة الفاتحة: الآية:3)، فقرأ عاصم (ت:129هـ) ، والكسائي (ت: 189هـ): ﴿**مَالِكِ**﴾ بألف، وقرأ الباقون: ﴿**مَلِك**﴾ بغير ألف، ولم يمل أحد الألف من ﴿**مَالِك**﴾ (الحلبي، المنهج في القراءات الثمان / 43)

- ثانياً: التوجيه.

قال أبو بكر محمد ابن السري(ت:316هـ).: قال أبوعمرو(ت:155هـ) فيما أخذته عن الزيديين: إن "ملك" يجمع مالكاً؛ أي مَلَكَ ذلك اليوم بما فيه، ومالك إنما يكون للشـــيء وحده، تقول: هو مالك ذاك الشـيء، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ [آل عمران: 26] للشـيء بعينه، فملك يجمع مالكاً، ومالك لا يجمع ملكاً، وقال سبحانه: ﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾ [الناس: 2]، و﴿**المَلِكُ القُدُّوسُ**﴾ [الحشر: 23].

وقرأ عاصم الجحدري(ت: 128هـــ) قرأها "مَلِك" بغير ألف، وحجته على من قرأها مالك بألف: يلزمه أن يقرأ: "قل أعوذ برب الناس مالك الناس" فذكر ذلك لأبي عمرو(ت:155هـــــ)، فقال: نعم أفلا يقرءون: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ**﴾ [المؤمنون: 116].

قال هارون: قال: ابن السـراج :" وقال بعض من اختار القراءة بملك: إنالله قد وصـف نفسـه بأنه مالك كل شـيء بقوله: ﴿**رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ فلا فائدة في تكريره ذكر ما قد مضـى ذكره من غير فصـل بينهما بذكر معنى غير.

وحجتهم أيضاً: أنّ وصفه بالملك أبلغ في المدح، وهي قراءة أبي جعفر (ت: 130هـ)، والأعرج (ت: 234هـ)، وشيبة بن نصاح (ت: 130هـ). (المزي، تهذيب الكمال / ج330/4)

ومن حجة من قرأ **بـــ(مالك)** أنه يقال: ﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾: مثل سيد الناس، و﴿**بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، و﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، ولا يقال: سـيد يوم الدين، فإذا كان مع الناس وما يفضـل عليهم كان ملك، وإذا كان مع غير الناس كان مالك.

ومن حجتهم أيضـاً أنه قد يدخل في المِلْك ما لا يجوز ولا يصـح دخوله في المُلْك، قالوا: وذلك أنه صحيح في الكلام أن يقال: فلان مالك الدراهم والطير، وغير صحيح أن يقال: فلان ملك الدراهم والدنانير.

وحجة من قرأ مالك أن الوصـف بالمِلكِ أعم من الوصـف بالمُلْك، والله سـبحانه مالك كل شـيء، قالوا: والمعنى أنه يملك الحكم يوم الدين بين خلقه دون سـائر الخلق الذين كانوا يحكمون بينهم في الدنيا. قالوا: وقد وصـف الله سـبحانه نفسـه بأنه مالك الملك؛ قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: 26]، ولا يقال: هو مَلِك المُلْك، قالوا: فوصفه بالملك أبلغ في الثناء وأعم في المدح من وصفه بالمُلْكِ.

وتوجيه أبو عبيد (ت: 224هـ) في قوله: "مِلِك يوم الدين" معناه: المُلْك يومئذ ليس مِلْكَ غيره.

ومن قرأ مالك: أراد أنه يملك الدين والحساب لا يليه سواه. قال: وكذلك يروى عن عمر قال أبو بكر محمد ابن السري: الاختيار عندي "مِلِك يوم الدين"، والحجة في ذلك أن الملك والملك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدة، كما قالوا: ملكت العجين، أي شدته.

وحجة المختار لمالك أن يقول: قرأت "مالك" لأن المعنى: يملك يوم الدين، وهو يوم الجزاء، ولا يملك ذلك اليومَ أن يأتي به ولا سائر الأيام غيرُ الله سبحانه، وهذا ما لا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى.

قال أبو علي: وأما ما حكاه أبو بكر عن بعض من اختار القراءة بملك، من أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله رب العالمين، فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى؛ فإنه لا يرجّح قراءة ملك على مالك؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العامّ، وذُكر بعد العامّ الخاصّ، كقوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾، ثم قال: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾. فالذي وَصْفٌ للمضاف إليه دون الأول للمضاف لأنه كقوله: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ**﴾ [الحشر: 24] ثم خَصَّ ذكر الإنسان تنبيهاً على أمل ما فيه من إتقان الصنعة، ووجوه الحكمة.

كما قال: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21] وقال: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ**﴾ [الحشر: 24] ثم خص ذكر الإنسان تنبيهاً على أمل ما فيه من إتقان الصنعة، ووجوه الحكمة. (الفارسي، الحجة / ج18/1)

كما قال: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21]، وقال: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾، وكقوله: ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [البقرة: 4] بعد قوله: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: 3]، والغيب يعم الآخرة وغيرها، فخصُّوا بالمدح بعلم ذلك والتيقن له، تفضيلاً لهم على الكفاء المنكرين لها؛ في قولهم: ﴿**لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**﴾ [سبأ: 3]، وكقولهم: ﴿**مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا**﴾ [الجاثية: 32] وكقولهم: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾ [الجاثية: 24] وكذلك قوله: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ الرحمن أبلغ من الرحيم؛ بدلالة أنه لا يوصف به إلا الله سبحانه. وذكر الرحيم بعده لتخصيص المسلمين به في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: 43]. فكما ذكرت هذه الأمور الخاصة بعد الأشياء العامة لها ولغيرها، كذلك يكون قوله: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ فيمن قرأها بالألف بعد قوله: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾. (الفارسي، الحجة / ج18/1)

ومما يشهد لمن قرأ مالك من التنزيل قوله تعالى: ﴿**وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ [الانفطار: 19] لأن قولك: الأمر له، وهو مالك الأمر بمعنى ألا ترى أن لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله: ﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا**﴾ [الانفطار: 19] يقوّى ذلك.

والتقدير: مالك يوم الدين من الأحكام ما لا تملكه نف لنفس. ففي هذا دلالة وتقوية لقراءة من قرأ مالك. (الفارسي، الحجة / ج18/1)

فأما من قرأ: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ فأضاف اسم الفاعل إلى الظرف والتقدير حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه، وإن هذا المحذوف قد جاء مثبتاً في قوله: ﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا**﴾ [الانفطار: 19] فتقديره: مالك يوم الدين الأحكام، وحَسُن هذا الاختصاص لتفرّد القديم سبحانه في ذلك اليوم بالحكم.

فأما في الدنيا فإنه يحكم فيها الولاة، والقضاة، والفقهاء، وحذف المفعول على هذا النحو كثير واسع في التنزيل وغيره ومثل هذه الآية في حذف المفعول به مع الظرف قوله: ﴿**فَمَنْ شَـــهِدَ مِنْكُمُ الشَّـــهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: 185] فالشهر ينتصب على أنه ظرف، وليس بمفعول به، يدل ذلك على أنه لا يخلو من أن يكون ظرفاً أو مفعولاً به، فلو كان مفعولاً به للزم الصـــيامُ المســـافر، كما لزم المقيم من حيث شـــهد المسـافر الشـهر شـهادة المقيم إياه، فلما لم يلزم المسـافر علم أن المعنى فمن شـهد منكم المصـر في الشـهر فليصمه، ولم يكن (الشهر) مفعولاً به في الآية، كما كان يكون مفعولاً به لو قلت: أحببت شهر رمضان.

فإذا قلت: فإذا كان الشـــهر في قوله: فمن شـــهد منكم الشـــهر ظرفاً ولم يكن مفعولاً به، فكيف جاء ضـميره متصـلاً في قوله فليصـمه، وهَلا دلَّ ذلك على أنه مفعول به؟ قيل: لا يدل ذلك على ما ذكرته؛ لأن الاتساع إنما وقع فيه بعد أن استُعمل ظرفاً، وذلك سائغ. (الفارسي، الحجة / ج27/1)

**** إعراب القراءتين (ملك – مالك):**

فأمَّا إعراب ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ فالجرّ في القراءتين. وهو صـفة لاسـم مجرور والصـفات تجاري على موصوفها.

قال أبو الحســـن أن الوصـــف يجري على ما قبله، وليس معه لفظ عمل فيه، إنما يعمل فيه أنه (مجرور بالتبعية)، فذلك هو الذي يرفعه، وينصـــبه، ويجرّه، كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء وهو عامل معنوي، وإنما الابتداء معنى عمل فيه وليس لفظاً، فكذلك هذا.

فإن قيل: لم لا يكون العامل في الوصـــف ما عمل في الموصـــوف؟ قلت لأن في هذه التوابع ما يَتَعرّب بإعراب ما يتبعه، ولا يصـــح أن يعمل فيه ما عمل في موصـــوفه. وذلك نحو أجمع وجُمَع وجمعاء وليســت هذه الكلم ككلّ الذي قد جُوز فيه أن يلي العوامل على اسـتكراه. فلما صـح وجود هذا دل أن الذي يعمل في الموصـــوف غير عامل في الصـــفة في نحو مررت برجل قائم وما أشـــبهه لاجتماعهما في أنهما تابعان. (الفارسي، الحجة / ج28/1)

ويدل على ذلك أيضـــاً أنك قد تجد من الصـــفات ما إعرابه يخالف الموصـــوف نحو يا زيد العاقل، فزيد مبني، وصـفته مرتفعة ارتفاعاً صـحيحاً. فلو كان العامل في الصـفة العامل في الموصـوف، لم تختلف حركاتهما، فكانت إحداهما إعراباً، والأخرى بناء، وكان مجيء هذا في النداء دلالة على ما ذكرناه: من أن الصفة ليست بمعمول لما يعمل في الموصوف.

س/ فإن قال قائل: فلم لا تجعل الصفة – من حيث كانت كالجزء ممّا تجري عليه – مع الموصوف بمنزلة شيء واحد، وتستجيز من أجل ذلك أن يعمل فيها ما عمل في الموصوف وتستدل على ذلك بأشياء من كلامهم، يُقوى هذا المسـلك من ذلك أنهم جعلوه مع الموصـوف كاسـم واحد، في نحو لا رجل طريف، وكذلك قولهم: يا زيد ابن عمرو وما أشـــبهه، وقال الله ســـبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ**﴾ [الجمعة: 8] فلما وصـف المبتدأ بالاسم الموصـول دخلت الفاء في الخبر، كما أنه لما كان المبتدأ موصـولاً دخلت الفاءُ فيه؟ قيل: إن ما أوردته من ذلك لا يدل شـيء منه على كون الوصـف معمولاً للعامل في الموصوف؛ لأنه يلزم من ذلك أن يكون في اسم واحد إعرابان، وهذا قد رفضوه في كلامهم، يدل على رفضـــهم إيّاه أنهم إذا نســـبوا إلى تثنية أو جمع على حدّها حذفوا علامتي التثنية أو الجمع من الاســـم؛ لئلا يجتمع في الاســـم دلالتا إعراب، فإذا كانوا قد كرِهوا ذلك في التثنية والجمع مع أن التثنية قد جرت مجرى

غير المعرب في قولهم إذا عدُّوا: واحد، اثنان، فأن يُكره ذلك في الإعراب المحض الذي لم يجر مجرى البناء أجدر.

ومن ثم ذهبوا في قولهم: يا زيدَ بن عمرو، لما جعل الموصوف مع الصفة بمنزلة اسم مفرد، إلى أنه بمنزلة امرئ وابنم ونحو ذلك من الأسماء التي يتبع ما قبل حرف الإعراب فيها حرفَ الإعراب ولم يجز فيها عندهم إلا ذلك، لأن حركة آخر الاسم الأول لو كانت إعراباً لوجب أن يكون في الاسم الواحد إعرابان، وذلك مما قد اطرحوه في كلامهم فلم يستعملوه.

ومما يبين ذلك أنهم حيث قالوا: لا رجل ظريف لك جعلوا الأول منهما بمنزلة صدور الأشياء التي يضم إليها ما يكون معها شيئاً واحداً. وإذا كان الأمر كذلك كان قول من قال في امرئ ونحوه: إنه معرب من مكانين غير مستقيم لما أريتكه من حذفهم علامة التثنية والجمع في النسب. (الفارسي، الحجة / ج31/1)

**** الجمع بين القراءتين:**

كلام العرب بعضه مأخوذ من بعض؛ فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالأبنية، فيُلزَمُ كل بناء ضرباً من ذلك الجنس، مثال ذلك العَدل، يشتق منه: العدل والعَديل، فالعِدل: ما كان متاعاً، والعديل: الإنسان، والأصل إنما هو العَدْل، وكذلك مَلك، ومالِك. فالمَلك الذي يملك الكثير من الأشياء: ويشارك غيره من الناس، بأنه يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك، ويسوسه به، ويجتمع مع ذلك أن الملك يملك على الناس أمورهم في أنفسهم، وجميع متصرَّفاتهم، فلا يستحق اسم الملك حتى يجتمعَ له مِلك هذا كله، فكل مَلِك مالك، وليس كل مالك ملكاً.

وأما قوله تعالى: ﴿**مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ فإن الله سبحانه يملك ملوك الدنيا، وما مَلكوا، وإنما تأويل ذلك أنه يملك مُلك الدنيا، فيؤتي الملك من يشاء. فأما يوم الدين فليس إلا مُلكه، وهو ملك الملوك جل وعز يملكهم كلهم، وقد يستعمل هذا في الناس؛ فيقال: فلان مِلك الملوك وأمير الأمراء، ولا يقال مَلك المُلْك، ولا أمير الإمارة؛ لأن أميراً وملكاً صفة غير جارية على فعل، فلا معنى لإضافتها إلى المصدر، فأما إضافة مِلك إلى الزمان فكما يقال: ملك عام كذا، وملوك سِني كذا، وملوك الدهر الأوَّل، وملك زمانه، وسيد زمانه، وهو في المدح أبلغ. والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله سبحانه والصفة له، ألا ترى قوله: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾؟ فالربوبية والملك متشابهان. (الفارسي، الحجة / ج16/1)

- المطلب الثاني: تخريج وتوجيه لفظ " الصراط ".

- أولاً: التخريج.

اختلفوا في قوله تعالى: ﴿**الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ**﴾. فروي عن ابن كثير (ت: 120هـ) السين والصاد. ورُوي عن أبي عمرو (ت: 155هـ) السين، ، والباقون بالصاد، غير أن حمزة (ت: 156هـ) يلفظ بها بين الصاد والزاي. (الصفاقصي، غيث النفع في القراءات السبع / 38).

- **ثانياً: التوجيه:**

قال أبو بكر: وحجة القارئ للقارئ بالسين أن يقول هو أصل الكلمة، ولو لُزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها؟

ويقول من يقرأ بالصـــاد: إنها أخفّ على اللســـان؛ لأن الصـــاد حرف مطبق كالطاء فيتقاربان، وتحسنان في السمع، والسين حرف مهموس، فهو أبعد من الطاء، وهي قراءة أبي جعفر (ت: 130هـــ)، والأعرج (ت: 234هـ)، وشيبة بن نصاح (ت: 130هـ). (الفارسي، الحجة / ج15/1)

ويقول من قرأ بالزاي: أبدلتُ منها حرفاً مجهوراً حتى يشـــبه الطاء في الجهر، ورُمت الخفة، ويحتج بقول العرب، صقر، وسقر وزقر.

ويقول من قرأ بالمضـــارعة التي بين الزاي والصـــاد: رمت الخفة، ولم أجعلها زاياً خالصـــة، ولا صاداً خالصة فيلتبس بأحدهما.

قال أبو بكر: والاختيار عندي الصـاد، للخفة، والحُسـن في السـمع، وهو غير ملبس؛ لأن من لغته هذا إذا كان يتجنب السين مع الطاء لم يقع عليه لبس؛ لأن السين كأنها مهملة في الاستعمال عنده مع الطاء، وإنما يقع الإلباس لو التبسـت كلمة بالسـين بكلمة بالصـاد في معنيين مختلفين، ومع ذلك فهي قراءة الأكثر، ألا ترى أن من رُويت عنه القراءة بالسين منهم قد رويت عنه بالصاد؟

قال أبو علي: الحجة لمن قرأ بالصـــاد أن القراءة بالسـين مضـــارعة لما أجمعوا على رفضـــه من كلامهم؛ ألا ترى أنهم تركوا إمالة واقد ونحوه كراهة أن يصـعدوا بالمسـتعلى بعد التسـفل بالإمالة؟ فكذلك يكره على هذا أن يتسفل ثم يتصـعد بالطاء في سـراط، وإذا كانوا قد أبدلوا من السـين الصـاد مع القاف في صقت، وصويق، ليجعلوها في استعلاء القاف مع بُعد القاف من السين وقرب الطاء منها، فإن يبدلوا منها الصـــاد مع الطاء أجدرُ من حيث كانت الصـــاد إلى الطاء أقرب. ألا ترى أنهما جميعاً من حروف طرف اللسان، وأصول الثنايا، وأن الطاء تدغم في الصاد؟

ويدلك على أن حسن إبدال الصاد من السين في سراط لما ذكرت لك من كراهة التصعّد بعد التسفّل أن من يقول: صـويق، وصُـقْتُ إذا قال: قِسْت وقسـوت لم يبدل الصـاد منها لأنه الآن ينحدر بعد الإصـعاد، وهذا يُستخف ولا يستثقل كما استُثْقل عكسُه؛ ألا ترى أنهم لم يميلوا ناتق، وأمالوا، نحو قادر، وقارب؟

فإن قلت: إن السـين الأصـل بدلالة قولهم: سَـرِ طَـمِ وسَـرِ طراط والأخذ سُـرّيط. قيل: الألف أيضـاً أصـلها ألا تمال، ولكن لما وقعت مع الكسـرة والياء فأريد مجانسـة الصـوتين وملاءمتهما أميلت، وتُرك الأصل الذي هو التفخيم والتحقيق لها. (الفارسي، الحجة / ج19/1)

فكذلك في باب صـراط وصـويق وصـالح وصـالغ لمّا أريد فيه ذلك ترك الأصـل إلى تشـاكل الصـوتين، وتجانسـهما، وقد تركوا في غير هذا – لما ذكرت لك – ما هو أصـل في كلامهم إلى ما ليس بأصل؛ طلباً لاتفاق الصوتين؛ ألا تراهم قالوا: شمباء، ومَمْ بك فلم يبينوا النون التي هي الأصل في الشنبن، ومَن عامر؟ لما أرادوا أن يوفقوا بين الصوتين، ولم يستجيزوا إدغام النون في الباء من حيث كان متشابهاً ما لم يدغم في الباء وهو الميم، فكما تركوا الأصـل ها هنا طلباً للمشـاكلة، كذلك يُترك الأصـل في سـراط، ويُختار إبدال الصاد من السين.

فأما القراءة بالزاي فليس بالوجه. وذلك أن من قال في أصدرت: أزدرت، وفي القصد القزد، فأبدل من الصاد الزاي، فإنه إذا تحركت الصاد في نحو: صدرت، وصدقت، لم يبدل. فإذا لم يبدلوا الصاد زاياً إذا تحركت مع الدال، وكانت الطاء في الصـراط، مثل الدال في القصـد في حكم الجهر، فكذلك ينبغي ألا تبدل من السـين الزاي في سـراط من أجل الطاء؛ لأنها قد تحركت كما تحركت في صـدقت، مع أن بينهما في

"سراط" حاجزين؛ وقد قال سيبويه: إذا قال: مصادر فجعل بينهما حرفاً ازداد التحقيق حسناً وكثرة. يريد يزداد التحقيق للصاد كثرة إذا وقع الفصل بالحرف على التحقيق إذا وقع الفصل بحركة نحو: صَدَقَ.

وإنما لم تبدل في الموضعين لمَّا فصلت الحركةُ أو الحرف، لأن التبيين وتصحيح الصاد في قصد وأصدرت قد كان يجوز ولا حاجز بينهما، فلمَّا وقع الفصل وحجزت الحركة أو الحرف امتنع كان يجوز من قبل.

ألا ترى أن المتقاربين إذا وقعا في كلمة واحدة ففصل بينهما الحركة بين، وذل كنحو وَتِد. ومن أدغم قدّر فيه الإسكان، مثل فَخْذ فأدغم على ذلك؟ فكما لم يَقْو الإدغام ولم يكثر مع حجز الحركة كذلك لا يقوى البدل مع حجز الحركة، لاجتماع الموضعين في أن القصد فيهما تقريب حرف من حرف. فأمَّا القراءة بالمضارعة فأحسن من القراءة بإبدال الزاي من السين، لأن من لم يُبدل من الصاد الزاي إذا تحركت قد يضارع بنحو صاد صدقت ويضارع بها إذا بعدت نحو مصادر، والصراط كما قالوا: حلبلاب فوفَّقُوا بين الحرفين مع حجز ما حَجَز بينهما من الحروف، وكأنه أحب أن يشاكل بهذه المضارعة ليكثُر بذلك تناسب أحد الحرفين إلى الآخر، فأشرب الصاد صوت الزاي لذلك.

ومما يقوّي مضارعة الصاد في الصراط بالزاي أنهم حيث وجدوا الشين مشبهة للصاد والسين في الهمس والرخاوة والاستطالة إلى أعلى الثنيتين ضارعوا بها الزاي، لما وقع بعده الدال ليتفقا في الجهر، وذلك نحو قولهم: أشدق في الأشدق، وكذلك فعلوا بالجيم قبل الدال لقربها من الشين، وذلك قولهم: أجدر في الأجدر، فإذا ضارعوا بهذين الحرفين الزاي ليقربوها بذلك من الادل مع تباعد مخرجهما من الزاي فأن يضارعوا بها الصاد أجدر، لقربها منها واتفاقهما في المخرج. ويؤكد هذه المضارعة أنهم قالوا: اجدرءوا و اجدمعوا فأبدلوا من تاء الافتعال الدال لما أشرب صوت الزاي، كما أبدل في مزدجر ونحوه، ولا يجوز أن نخلص الشين، والجيم زاياً كما فعلت ذلك في الصاد والسين في القصد ويَسْدُل ثوبه، لأنهما لم تقربا من الزاي قرب الصاد والسين منها. (الفارسي، الحجة / ج40/1)

ويقوي اتساع ذلك في الاستعمال أن سيبويه (ت: 180هـ)، (الحموي، معجم الأدباء / ج812/2) قال: زعم هرونُ أنها قراءة الأعرج، قال: وقراءة أهل مكة اليوم ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ بين الصاد والزاي قال: والمضارعة في الصاد يعني إذا كانت مع الدال أكثر وأعرف منها في السين يعني في نحو: يَزْدل ثوبه.

ومما يحتج به من أخلص الصاد وحققها على من ضارع بها الزاي أن يقول: الحرف قد أعل مرة بالقلب فلا تستقيم المضارعة، لأنها إعلال آخر، وقد رأيتهم كرهوا الإعلال في الحرفين إذا تواليا، فإذا لم يوالوا بين إعلالين في حرفين مفترقين فألا يوالوا بين إعلالين في حرف واحد أجدر.

ويقوّي ذلك أنهم حذفوا النون من نحو بَلْعنبر، وبلحرث، ولم يحذفوا من بني النجار من توالي النونات حيث كانت اللام قد اعتلَّت بالقلب لئلا يتوالى إعلالان: الحذف والقلب، وإن كانا من كلمتين مفترقين فإذا كُره في هذا النحو كان توالي إعلالين في حرف واحد أبعد.

ومما يحتجّون به على من ضارع بها الزاي أن هذه المضارعة ت تشبه الإدغام في أنه تقريب الحرف الأول من الثاني، فكما أن الصاد لا تدغم في الطاء لانتقاص صوتها بذلك فكذلك لا ينبغي أن يضارع بها لأن هذه المضارعة في حكم الإبدال، بدلالة انه حيث ضارعوا بالجيم الزاي في قولهم:

اجدرءواواجدمعوا أبدلوا من تاء الافتعال الدال كما أبدلوا في مزدجر. وقال سيبويه: لم تكن المضارعة هنا الوجه يعني في الصراط. (الفارسي، الحجة / ج40/1)

الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد ألا إله إلا الله المتفضل على عباده المنعم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأكرم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فهذا آخر ما يسره الله لي في هذه الورقة البحثية، والتي قد من الله علي فيها بمعرفة عدة أمور منها:

1- التعرف على كتاب الحجة بشكل أوسع.

2- التعرف على هذا الإمام الجليل - أبو علي الفارسي -، ومعرفة حياته.

3- معرفة فضل هذا العالم في إحياء علم القراءات - شكل عام - والتوجيه - بشكل خاص -.

4- الاطلاع - ولو بشكل مبسط - على كتاب الحجة، ومعرفة منهج مؤلفه فيه.

5- معرفة كيفية التعامل مع الكتب القديمة، وكيفية استنباط المعلومة منها.

6- معرفة الجهد المبذول من هؤلاء الأفذاذ - مثل أبي علي الفارسي - في جمع المادة العلمية، وقوة الاحتجاج بالأدلة الدامغة.

7- التعرف على بعض الأعلام والمصادر والمراجع التي لم أكن أعلمها من قبل.

8- توسعة مداركي في كيفية إعداد البحوث، وطريقة البحث العلمي.

وختاماً؛ فهذا جهد المقل، وعمل من يعتريه الخطأ والقصور والنسيان، فإن أصبت فبفضل الله ورحمته، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي أني بذلت جهدي، وجزى الله خيراً من أرشدني إلى خطأي، وأوقفني على زللي، بنصح وصدق، وإنصاف وعلم، والحمد لله دائماً، والشكر له خالصاً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنويجي، ت:عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان،ط/1978.

3- أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية، وآثاره في القراءات والنحو، لعبد الفتاح إسماعيل شلبي،مكتبة نهضة مصر، الفجالة / مصر، ط/ 1377هـ.

4- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي،ت: أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

5- إنباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ط1/ 1986م.

6- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف- بيروت، ط1/ 1995م.

7- البصريات، لأبي علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني/ القاهرة، ط1/1985م.

8- بغية الطلب في تاريخ حلب، لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، ت: سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، ط1/ 1988م.

9- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1/ 1407هـ .

10- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان.

11- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1/1983.

12- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي،ت: عادل أحمد عبد المجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان،ط1/ 2007م.

13- ذيل تجارب الأمم، لأبي شجاع، مطبعة شركة التمدن الصناعية، ط/1334هـ.

رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، ت: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف- مصر، ط5/1969.

14- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، لمحمد باقر الموسوي الأصبهاني، دار الدرر الإسلامية، بيروت/ لبنان، ط1/1991م.

15- سير أعلام النبلاء وبهامشه إحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وكلاهما للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، ت: محي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار القلم ، بيروت/ لبنان

16- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.

17- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ليوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3/ 1994م.

18- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الهجرة للطباع والنشر- الجيزة، ط2/ 1992م.

19- طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1/1396هـ.

20- طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضي شهبة،ت: محسن غياض، مطبعة النعمان - النجف، ط:1974.

21- طبقات النحويين واللغويين،لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2/ 1998.

22- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1/2004م.

23- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي(ت: 1118هـ)، ت: أحمد محمود عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1/2004.

24- الفهرست، لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، ط:1978م.

25- الكامل في التاريخ، لمحمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2/ 1995م.

26- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان.

27- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم ، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط1، 1998م.

28- لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت/ لبنان،ط1/2002م.

29- المبهج في القراءات الثمان، لأبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادي الحلبي (ت:541هـ)، ت: عبد العزيز بن ناصر السبر، ط:2001.

30- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1/ 1997م.

31- معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي الرومي، ت: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، ط1م1993م.

32- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت/ لبنان.

33- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله عثمان الذهبي، ت: بشار عواد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1984/1م.

34- منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتابه" الحجة في القراءات السبع" ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في علم القراءات، لعبد الرحمن معاشي.

35- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت/لبنان.

36- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزي بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر.

37- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط/1999م.

38- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للقاضي أبي علي التنوخي، ت: عبود الشالجي ، دار صادر- بيروت، 1972م.

39- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، ط/ 1968م.

40- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لعبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنيفية / دمشق.